الخصيان

أصل العادة وتاريخها وانتشارها

للدكتور مأمون عبد السلام

هوت الغيرة الجنسية بالانسان الى دركة ما دون الوحوش ، وسوس اليه الشيطان أن ينتزع الرجولة من الأبرياء لينخذهم خداماً يأتمنهم على عرض نسائه وحفظة لطهارتهن . هذا هو أصل فى اتخاذ الخصيان . وهى عادة لجأ إليها الصينيون والهنود البابليون والفرس من عصور خالية ، فقد أخبرنا هيرودوت عما كان للخصيان من السطوة فى دولة الفرس فى عهده

وقد عرفهم العرب من قديم فقالوا : خصى يخصى وخصى ، وتقول العامة طواشى ، وهى كلمة مولدة ليست من كلام العرب . فقد كان من عادة العرب فى الجاهلية أن يخصوا أسراهم كما كان يفعل قدماء المصريين ؛ وتجد ذلك مصوراً على جدران مدينة سابو ، وكما يفعل الأحباش الآن . وهذه العادة قديمة فى مصر ، فقد عثروا فى هرم أوناس على مخطوط عرف منه أن حوريس سل خصيتى سيت . وقد اتخذ الفراعنة الخصيان فى قصورهم فبلغوا من النفوذ والسطوة ما حدا بهم إلى قتل أمانيميس وهو الفرعون الثانى من العائلة الثانية عشرة

ونظراً للاعتقاد السائد بأمانة الخصيان فقد أطلق اسم الخصى على أمناء فرعون وملوك بنى اسرائيل ، فقد جاء فى سفر التكوين (٣٩ : ١) : (وأما يوسف فأنزل إلى مصر واشتراه فوطيفار خصى فرعون رئيس الشرط) وكلنا يعلم أن فوطيفار وهو العزيز كان متزوجاً وقد راودت زوجه يوسف عليه السلام عن نفسه فأبى واستعصم

وقد اتخذ بنو اسرائيل الخصيان كما ذكر فى الكتاب المقدس (الملوك الثانى ٩ : ٣٢ — ٣٣ و ٢٤ : ١٥ وأخبار الأيام الأول ٢٨ : ١ وإستير ٦ : ١ — ٢) وقد حرمت التوراة اتخاذ الخصيان وخصاء الحيوان ، فقد جاء فى سفر التثنية (٢٣ : ١) : لا يدخل مخصى بالرض أو مجبوب فى جماعة الرب . وجاء فى سفر اللاويين : ومرضوض الخصية ومسحوقها ومنزوعها ومقطوعها لا تقربوا للرب

وقد أخذ الاغريق هذه العادة عن الشعوب الآسيوية التى غزاها الاسكندر المقدونى فانتشرت بينهم بعد موته ؛ واسم الخصى عندهم يونوتوس eunochos (ومنها الكلمة الافرنجية يونوق eunoch (واشتقاقها من يونو eune بمعنى الفراش وايقيون ekheim بمعنى الحارس أى حارس فراش الزوجية

وقد أدخل هذه العادة هليو جابال إلى روما فى عهد الأمبراطورية أى فى نهاية القرن الثالث وتفشت بعد ذلك فى الدولة البيزنطية

وقد حتمت بعض العبادات الخصاء على اتباعها ليتفرغوا للتعبد كما كان يفعل كهنة الهياكل الوثنية السورية القديمة

وقد جاء ذكر الخصيان فى انجيل متى (١٩ : ١٢) : « لأنه يوجد خصيان ولدوا هكذا من بطون أمهاتهم ، ويوجد خصيان خصاهم الناس ، ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات . من استطاع أن يقبل فليقبل » وقد اعتمد بعض المسيحيين المتقدمين على هذه الآية وخصوا أنفسهم ليتحرروا من الوقوع فى الخطيئة . وأول من فعل ذلك أوريجانوس الاسكندرى المولود سنة ١٨٥ أو سنة ١٨٦ ميلادية ، وقد أحسن أبوه تهذيبه فتاقى العلم على أكابر علماء المسيحية أمثال بانطينوس وكليمان فى المدارس الكاتيدرائية وهى مدارس دينية كانوا يتلقون فيها الفقه المسيحى والعلوم الأغريقية (على نحو الجامعة الأزهرية فى الاسلام) ؛ وقد خصى نفسه زهداً منه فى الحياة الدنيا ورغبة فى تلقين النساء العلم . وقد قضى ثمانية وعشرين عاماً بالاسكندرية رحل خلالها إلى روما وانطاكية وبلاد العرب خدمة للدين والعلم

وقد اقتدى الكثير من المسيحيين بأوريجانوس فظهرت فى القرن الثالث المسيحى فرقة الفليسيين نسبة إلى فليسيوس العربى رئيسهم الذى قال إن الخلاص لا يتم إلا بالخصاء ؛ فكانوا يخصون أنفسهم ومن يقع فى أيديهم تقرباً إلى الله تعالى . وقد ثبت المجمع النيقادى الذى عقده الامبراطور قسطنطين الخصاء فى قوانينه فاستمرت العادة بين بعض الطوائف المسيحية حتى

حرمها البابا ليو الثالث عشر

ورغماً عن ذلك فقد استمر بعض الروسيين إلى أول الثورة الشيوعية على اتباعها ، فقد كان منهم فرقة من الخصيان المتعبدين اسمها سكوبسي Skopsi أي الخصيان

وكان من عادة الطليان أن يخصوا الأولاد قبل البلوغ ليحافظوا على نعومة أصواتهم وحدتها للغناء في الكنائس والمسارح إذ كانوا يمنعون النساء من مزاولة ذلك . فحرم هذه العادة البابا اكليمنس الرابع عشر ولكنه لم يتمكن من ابطالها حتى في رومه عقر داره

ويحرم الدين الاسلامي الخصاء في الانسان والحيوان ، وورد في ذلك أحاديث ؛ وقد اعتبر أبو العباس رضي الله عنه الخصاء عملية شيطانية يحرمها المولى

وقد دفعت أبهة الملك معاوية بن أبي سفيان بقاري ملوك الروم في اتخاذ الخصيان فكان أول من اتخذهم في الاسلام كما ذكر المسعودي . ومن ثم تفشت هذه العادة في الدول الاسلامية وخاصة عند بني عثمان وعنهم أخذنا كلمة (أغا) للخصي ، وأصل الكلمة أغا بالفارسية بمعنى السيد ؛ ويعنى بها العثمانيون الأخ الأكبر وصف الضابط ورئيس فرقة الانكشارية ، ثم أطلقت على الخصي ، وقد انتشر هذا الاسم في ممتلكات آل عثمان كالشام ومصر والجزائر وغيرها

وكان جميع خصيان مصر وشمال إفريقيا وبلاد العرب والشام وتركيا من السود والحبشان ، وأصلهم من الرقيق يخصونهم في بلدة باجرى بالسودان

وقد تكلم عن الرقيق بمصر بورخهاردت وهو رحالة سويسري كان في خدمة الانجليز جاء إلى مصر وقام في ٢٢ فبراير سنة ١٨١٣ من أسوان إلى بلاد النوبة ، وكان يحكمها إذ ذاك أولاد حسن كاشف الثلاثة ، فذكر أن بورغو غرب دارفور كانت مكان خصاء الرقيق ومنها كانوا يحملون إلى سواكن ومكة والمدينة ومصر ، ولكن السواد الأعظم من الخصيان الذين يرسلون إلى أوروبا وتركيا كانوا من الرقيق الذي كان يصل إلى أسيوط ، وكانوا يخصون في قرية تسمى زاوية الدير قرب أسيوط ، وكان يقوم بهذه العملية راهبان من أهلها حازا شهرة كبيرة في ذلك . وكانا يحظ ازدراء المصريين جميعاً ؛ ولكنهما كانا يقومان بهذه العملية تحت حماية الحكومة مقابل ضريبة سنوية يدفعونها

ونسبة الوفيات من الخصاء منخفضة بعكس ما قد يعتقد ؛ فقد مات من جراحها اثنان من ستين ولذا خصوا في خريف سنة ١٨١٣ ، ولا تزيد النسبة في العادة على اثنين في المائة . وكانت عادتهم أن يقوموا بهذه العملية حال وصول القافلة من دارفور أوسنار ويختار لها الأولاد من سن الثامنة إلى الثانية عشرة الذين يمتازون بقوتهم وتناسق أعضائهم وذكائهم

وكانت أجرة العملية ستين قرشا . وقد بلغ متوسط ما كان يخصى بأسيوط مائة وخمسين خصياً في السنة ، وكان ثمن الخصي بأسيوط في هذا العهد ألف قرش

ويقول بورخهاردت إنه في سنة ١٨١١ أمر محمد علي باشا أن يخصى مائتا عبد دارفوري ليرسلهم هدية سنية إلى السلطان الأعظم بالأستانة . وقد روى أن الخصيان البيض قليلون بتركيا ، وأنه رأى بالحجاز عدداً من الخصيان الهنود خصوا في بلاد الهند وأرسلوا هدية إلى الحجاز

وقد رجع بعض العرب إبان الحرب الوهابية الأولى إلى عادتهم في الجاهلية وهي خصاء الأسرى ، وذلك أن الشريف غالب أمير مكة أسر أربعين رجلا من قبيلة يمنية وهي قبيلة تدين بالمذهب الوهابي ، وكان في حرب معهم فأمر بأن يخصوا ثم يفك أسرهم فماتوا من جراء ذلك سوى اثنين رجعا إلى قبيلتهما بعد أن التأمت جراحهما ؛ وقد امتلأ قلباهما بالحقد والضغينة فقتل أحدهما ابن عم الشريف غالب في إحدى المعارك ، وأما الآخر فقتل وهو يحاول اقتحام خيل الشريف ليقتله بنفسه

وينجم عن الخصاء أن يبطل فعل الغدد الجنسية وخاصة إفرازاتها الداخلية التي لها تأثير كبير في التوازن الفسيولوجي والجنسي ؛ ويكون التأثير على أشده في الصغار ويقل كلما كبر سن من يراد خصاؤه ، فينمو الصبي المخصى كالأنثى فلا ينبت شعر وجهه ، ويكون صوته رفيعاً وعظامه كعظام النساء وعضلاته لينة ويتضخم عجزه ، ويصبح أكثر ميلاً إلى الدس والايقاع . ويكون التأثير في البالغ أقل ظهوراً فيضعف شعر الذقن أو قد يختفي ، ويتغير الصوت . ويتعرض الرجل بعد الخصي لاضطرابات

عصبية شديدة ولأفكار سوداوية تنشأ من جمود العاطفة الجنسية ، أما إن خصى الرجل وهو كهل فالتغير لا يكون ملموساً

وقد يتسرب إلى الذهن أن الخصاء يضعف من حدة العقل والشجاعة وهـذا خطأ محض ، ففى التاريخ أدلة تثبت ما كان للخصيان من القوة والبأس والتبحر فى العلوم وعلو الباع فى سياسة الأمم وقيادة الجيوش . فمن الخصيان الذين خلد التاريخ أسماءهم باغوص الفارسي الملقب بصانع الملوك ، وفافوريتوس الفيلسوف صديق بلوطارخ ، وأرسطو نيقوس القائد البطليموسى ، وفوطين وزير بطليموس ، وأيوتروب وزير اركاديوس

وكان للخصيان شأن عظيم فى عهود كثيرة من التاريخ الاسلامى وخاصة بمصر فكان أظهرهم الأستاذ أبو المسك كافور الاخشيدى الذى انتزع الملك لنفسه وخطب باسمه على المنابر ، ثم الطواشى محسن الصالحى ، والطواشى صبيح فى آخر عهد الدولة الأيوبية . وقد أشار اليهما المرحوم ميخائيل بك شاروبيم فى كتابه (الكافى) عند كلامه عن أسر المصريين لملك فرنسا فقال إنه لما اشتد الأمر على الفرنسيس وقلت عندهم الأقوات وصعب لذلك عليهم المقام قبالة المسلمين رحلوا يريدون دمياط فاقتفى المسلمون أثرهم فانحاز الملك لويز بمن معه من الملوك والأمراء إلى بلد هناك وطلبوا الأمان فأمنهم الطواشى محسن الصالحى ثم غدر بهم وأحضرهم أسرى إلى المنصورة فقيد الملك لويز وحبسه فى دار كان ينزلها كاتب الانشاء فخر الدين بن لقمان وآثارها لا تزال باقيـة إلى الآن وقد تهدم أكثرها ووكل به الطواشى صبيح المعظمى ، وفى ذلك يقول الشاعر مهدداً الفرنسيس :

دار ابن لقمان على حالها والقيد باق والطواشى صبيح

وليس أمر خليل أغا وما كان له من السطوة فى عهد اسماعيل عنا ببعيد .

مأمون عبد السلام

مجموعات الرسالة

ثمن مجموعة السنة الأولى مجلدة ٥٠ قرشاً مصريا عدا أجرة البريد
ثمن مجموعة السنة الثانية (فى مجلدين) ٧٠ قرشاً عدا أجرة البريد
ثمن مجموعة السنة الثالثة (فى مجلدين) ٧٠ قرشاً عدا أجرة البريد
وأجرة البريد عن كل مجلد للخارج ١٥ قرشاً

قصـــة المكروب

كيف كشفه رجاله

ترجمة الدكتور أحمد زكى

وكيل كلية العلوم

الدفتريا

بين واجد سمها الفرنسيّ ، وكاشف ترياقها الإنكليزيّ

ومضت أربع سنوات تحققت بعدها نبوءة لفلار ، وهم تحققت ؟ بتجربة تظهر لك غاية فى السخافة ، والحقيقة التى لا شبهة فيها أنها تجربة أوغلت فى الخيال وتفانينه بقدر ما بعدت عن دائرة الحقيقة واليقين . تجربة ما كان يحسب حاسب إلا أنها تنتهى بقتل الخنزير الغيني الذى استُخدم فيها غرقاً ؛ ولم تكن هذه التجربة بدعاً فى الذى أوحاه هذا العصر من تجارب ، فبحث المكروب فى باريس كان عندئذ على أشده حدّة وعنفاً ، يصدر عن قلوب هائجة محمومة لا عن عقول هادئة باردة ، ففى هذا العصر كان بستور خائر القوى ، منهدم الكيان ، بعد نُصرته التى كانت من كشفه تكسين الكلَب ، فقنع بأن يشرف فى ضعفه على بناء المعهد ذى المليون فرنك الذى كان يقام فى شارع ديتو Rue Dutot[1] وكان فى باريس فى هذه الفترة متشنيكوف Metchnikoff [2] ، وكان رجلا جوحا احترف البحث فى المكروب فسلك فيه سبيلا وسطاً بين العلم والشعوذة ، وكان جاء باريس من أوديسا الروسية ليجشأ فيها بنظريات غريبة تتحدث عن بلع كرات الدم البيضاء للجراثيم ؛ وأخذ فى هذا العصر أشياع بستور يحزمون مجاهرهم فى عيابهم ويسافرون إلى سيجون Saigon فى الهند الصينية وإلى أستراليا ، يقصدون إلى كشف مكروبات لأدواء عجيبة لم يكن لها وجود أبداً . وفزعت أمهات كثيرات إلى بستور ، والأمل يملأ قلوبهن ، يرجونه فى كتب لا عدّ لها أن ينجى أولادهن من أمراض

(١) يقصد معهد بستور

(٢) أحد بحاث المكروب المعروفين وستأتى ترجمته